أمّ قيس

زليخة أبو ريشة

كلُّ هذا الوَجْدِ محمولٌ على صِفةِ الرَّحيلْ
لا صوتَ يملأني بهاءْ
إذ إنّني من يقظةِ العتمِ الّذي ملأ الجنوبَ جنوبَهُ
فامتدَّ نشوانَ الذّراعِ
إلى الشّمال

النَّهدُ في شفةِ الجبالْ
والموجُ قمصاني أعرّيها على وَهْجٍ محالْ
وشريعةٌ للغابِ تَصهَلُ في تضاريسي
فأكتم دمعتي خلفَ الضَّحِكْ
ضَحِكٌ ومرجانُ البكاءْ
ضحِكٌ وماءْ. . .
لكنَّهُ
ضحِكٌ يشاءْ. . .

من أمِّ قيسٍ جاء يُشبهُني ويُشْبُهني
وضلعٌ قوسُهُ قد سَلَّ
وجهي من شقوقِ الأرضْ
قشَّرْتُ قمحكِ مثلَ قمحي
قد ذَرَتْهُ
الرّيحُ
في طولٍ
وعَرْضْ

يا أمَّ قيسٍ امنحيني
بعضَكِ الجفلانَ فوق سحاب جولانٍ
وأمواهِ البحيرَهْ

يا أمَّ قيسٍ أتعبيني

جاءني تَعَب من التَّجوالِ في قَيْسٍ
وقَيْسٌ حطَّ في صدري رحالَ
الرّيحِ
أوجعَني
وضرّجني
بنرجسه
وفتّني
ففتحتُ بابي، قلتُ: ما بالُ اللّيالي صمتُها مثلُ النُّواحْ؟
طلعَ الصّباحُ وماطلعتِ!
يا أمَّ قيسٍ اقذفيني في
العَماءِ المحضِ
لا شكلٌ
ولا تقويضُ تكوينٍ
ولا صفةٌ أقلُّ..

يا أمَّ قيسٍ امنحيني عُبَّك الدّفيانَ من لَهَثِ المحبّين الّذينَ
تنفَّسوا في وجهِكِ الأسيانِ ثمَّ مضَوْا وتركتِ
لي برجَ الحَمَلْ
فحملتُهُ وحدي
ووحدي أسألُ الله الّذي في الله
عن طُرُقٍ تؤدّي نحو أوقاتي
لأختار الّذي يختارني

يا أمَّ قَيْسٍ خُضْتُ فيكِ الموتَ
مجَّدْتُ انحدارَكِ
نحونا
إذ إنَّنا
مذ طمَّنا
قد عمَّنا
حتّى تهامَسْنا:
هنا
قد فصَّلَتْنا الرّيحُ
فانفصلَتْ خطانا
عن تفاصيلِ الطّفولَهْ
يا أمَّ قَيْسٍ إنَّنا
لمّا خلعْنا وجدَنا
كنّا نغادرُ وجهنا
فلنلبسِ الجَسَدَ المضمَّخَ
بالطفولَهْ
بالياسمينِ الشّامِ
إنَّ الشّامَ بعضُ مآلِنا «إلْنا»
وإنَّ الشّامَ لعبتُنا
خلقناها لنا
حتّى سئمنا لعبةَ الأولادِ
في الطّينِ المقدَّسِ
والتّراتيلَ الطّويلَهْ..

يا أمَّ قيسٍ
أغمضي عينيكِ فينا
وامنحينا
خبزَكِ الطّابونَ
زعترَكِ الإلَهيَّ
امحقينا في تعاريجِ انحداراتِ الزّمانِ إلى المكانْ...
إنّا نودُّ الشيءَ محروقاً
ومحروقاً أردناه..... فكانْ....

الأردن